تاريخ شعراء العربية

شعراء العصر العبّاسي الأول

أبو تمّام



إعداد وشرح
لجنة التحقيق في دار القلم العربي

مراجعة وتدقيق
أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م

عنوان الدار

سُورِيَة ـ حَلَبْ ـ خَلفَ الفندُقِ السِّياحِي

شارع هدى الشِعْرَاوِيْ

هاتف | ٢١٣١٢٩ | ص.ب |٧٨| فاكس ٢١٢٣٦١،٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

اسمه ومولده ونشأته

هو حبيبُ بن أوس الطّائي ، وُلِدَ بقريةِ جاسم بقرب دمشق ، في أواخـرِ القرْن الثاني للهجرة ، بحدود سنة / ١٨٨/ هـ ، ونشـأ في دمشـق وكـان أبـوه عطّاراً فيها ، وقد ألحقه بحائكٍ ليتعلّم خياطة الثياب ، وصار حبيب يختلـف منـذ نعومة أظفاره إلى حلقات المساجد ينهلُ ممّا كان يجري فيها من جـداول الشـعر والثقافة ، وسَرْعانَ ما تدفّق يَنْبوعُ الشعر على لسانه واتّجه به إلى بعض اليمنيين والطائيّين في بلدته وفي حمص .

ونراه يولّي وجهَه نحو مصر قاصداً عيّاش بن لهيعة الحضرمي الـذي كـان يقوم على شرطتها وخراجها ، وأغلبُ الظنّ أنه كـان قـد ذهـب إلى مصـر قبـل هذه المرّة ، إذْ تنقلُ الرواياتُ أنّه عاش في صباه مـدّة هنـاك ، وأنّـه كـان يسـقي الناس في جامع عمرو بن العاص رضـي ا لله عنـه . وكذلـك زارهـا إبّـانَ ولايـة المطّلب بن عبدا لله الخزاعي / ١٩٨ - ١٩٩ / هـ .

وخـلال قدومه الأخير على مصـر التقـى بعبـدا لله بـن طـاهر الـذي ولي مصر /٢١١ - ٢١٣/ هـ . وفي ديوانه مدح لابن طاهر ، ويعود إلى الشام سـنة /٢١٤/ هـ والمــآتـم مـنــصوبـة في كل مكان على بطل طيّئ المغوار محمد بـن حميد الطُّوسي الذي كافح بـابك كفاحـاً مريـراً ، ثـم سـقط في ميـدان النضـال لأوائل هذه السّنَة ، وقد رثاه أبو تمام بكاء حارّاً أخذ يدور على الألسـنة وأخـذ يحتلّ به مكانة ممتازة بين الشعراء ، يقول في رثائه :

كذا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ ولْيَفْدَحِ الأَمْر
فليسَ لِعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ (١)

توفِّيت الآمالُ بعد محمَّدٍ
وأصبح في شُغْلٍ عن السَّفَر السَّفْرُ (٢)

فتىً ماتَ بين الطَّعْنِ والضَّرْب مِيتة
تقوم مقام النصر إن فاته النصر

وما مات حتى مات مضربُ سيفهِ
من الضَّرْبِ واعتلَّتْ عليه القَنا السُّمْرُ (٣)

وقد كان فوتُ الموتِ سَهْلاً فردَّه
إليه الحِفاظُ المُرُّ والخُلُق الوَعْرُ (٤)

ونفسٌ تعافُ العارَ حتّى كأنَّما
هو الكُفْرُ يومَ الرَّوْعِ أو دونَه الكُفْرُ (٥)

فأثْبتَ في مستنقَع الموتِ رِجْلَهُ
وقال لها من تَحْتِ أَخْمَصِكِ الحَشْرُ (٦)

تردَّى ثيابَ الموتِ حُمْراً فما دجى
لها اللَّيْلُ إلّا وهْيَ من سُنْدُسٍ خُضْرُ(٧)

مضَى طاهرَ الأثوابِ لم تَبْقَ روضةٌ
غداةَ ثَوَى إلّا اشتهتْ أنَّها قَبْرُ (٨)

---

(١) يجلّ ويفدح : يعظم . (٢) السَّفْرُ : المسافرون .

(٣) اعتلّت : مرِضَتْ . القنا : الرّماح .

(٤) الحفاظ : المحافظة على الحرمات . الوعْر : الصَّعْب .

(٥) تعاف : تكره . يوم الرَّوْع : الحرب . (٦) الأخمص : باطن القدم .

(٧) دجَى : أظلم . سندس : حرير . (٨) ثوى : مات .

وفي هذا الرثاء البديع قال أبو دلف العجلي : لم يَمُتْ مَنْ رُثِيَ بمثل هـذا الشّعْر .

وتردّد أبو تمّام بعد ذلك على الرّقّة والمَوْصل ، ورحل إلى بغداد ، ومـدح فيها الحسن بن سهل بقصيدته التي يقول فيها :

ستٌّ وعشرون تدعوني فأتبعها إلى المشيبِ ولم تَظْلِمْ ولم تَحُبِ (١)

اتّصاله بالمأمون

لعلّ أوّل قصيدة مدح بها أبو تمّام المأمونَ هي قصيدته :

كُشِفَ الغِطاءُ فأوقدي أو أخْمدي لم تَكْمَدِي فظَنَنْتِ أنْ لمْ يكْمَدِ

ويُشيد بسياسة المأمون التي قضـتْ على فِتَن المصريين ، وقطعـتْ دابرَ ثوراتهم ، يقول :

وانتاشَ مِصْرَ من اللُّتَيّا والّتـي بتَجاوزٍ وتعطُّف وتعمُّدِ (٣)

والمعروفُ أن المأمون زار مصر في أول سنة /٢١٧/ للهجرة ، وقـد عـادَ منها إلى دمشق ، ثم توجّه إلى ثَغْر ((أذنة)) مُعَسْكِراً بها وجيوشُه تتغلغل وراء البيزنطيّين مبدّدين لجموعهم في غير جبهة ، وتقدَّمَ بنفسهِ إلى حِصْن ((لؤلؤة)) فأناخ به ، ونرى أبا تمام يتغنّى بتلك الانتصارات في ميميته التي مدح بها المأمون ويصور تلك الجيوش واستبسالها في القتال :

---

(١) لم تحب : من الحوب وهو الإثم .

(٢) باح لسرّ : فإنْ شئتِ فلومي ، وإنْ شئتِ فذري .

(٣) انتاش : أنقذ .

مُسترسِلِينَ إلى الحُتوفِ كأنّما ... بين الحُتوفِ وبينهم أرحامُ (١)
آسادُ موتٍ مُخْدَراتٌ مالَها ... إلاّ الصَّوارمَ والقنا آجامُ (٢)

مع رجال المأمون

مدَح أبو تمام كثيراً من قادة المأمون وولاته ، من هؤلاء عبدُ الله بن طاهر والي خراسان ، وكان قد التقى معه خلال ولايته على مصر ، وقد أكرم ابنُ طاهر أبا تمام لمّا قصده واستقبله استقبالاً حافلاً هو وكُتّابه وشعراؤه ، ومن القصائد التي أنشده أبو تمام بائيّته :

أهنَّ عوادي يوسف وصواحبُهْ ... فعَزْماً فقِدْماً أدركَ السُّؤْلَ طالبُهْ

وفيها يقول في عبد الله بن طاهر :

سَما للعُلا مِنْ جانبَيْها كليهِماسُمُوَّ عُبابِ الماءِ جاشتْ غواربُهْ (٣)
فنوّلَ حتى لم يجدْ مَنْ يُنِيلُهُ ... وحاربَ حتى لم يجدْ مَنْ يحاربُهْ(٤)
ويا أيُّها الساعي ليُدْرِكَ شأوَه ... تزحزَحْ قَصِيّاً أسوأُ الظّنِّ كاذبُهْ (٥)

---

(١) الحتوف : جمع حتف . وهو الموت .

(٢) مُخْدَرات : ساكنات بيوتها وغاباتها . آجام : جمع أجمة وهي الشجر الكثيف الملتفّ .

(٣) العباب : كثرة الماء ، وارتفاع الموج واصطخابه . وغواربه : أعاليه . وجاشت : ثارتْ .

(٤) نوّل : أعطى .

(٥) شأوه : غايته .

ولّما أنشدَ أبو تمّام هذه المِدْحةَ في عبد الله بن طاهر نَثَر عليه ذلك الوالي أَلْفَ دينار .

عودته إلى سُرّ مَنْ رأى

عاد أبو تمّام إلى سُرَّ مَنْ رأى ، وفي طريق عودته نزلَ بهمذان على أبي الوفاء بن سلمة ، وهَطَلَ خلال تلك الفترة ثلج كثيف ، حبَسه أشهراً ، فأكبَّ على خزانة كتبه يؤلّف ويصنّف مجاميع من الشعر أشهرها كتاب الحماسة .

ولّما وصَل إلى سُرّ مَنْ رأى أخذ يتغنّى بانتصارات القوّاد على بابك الخُرَّمي ، وكان هذا المرتد قد ثار منذ سنة /٢٠١/ هـ ، ونازله كثيرون من قُوّاد المأمون ، دون أن يظفروا به ، وما توالي سنة /٢٢٠/ هـ حتى يعقد المعتصم للأفشين على الجيوش التي تُنازل أتباعه من الخرّميّة في الجبال وأرمينية وأَذْربيجان ، فأخمد حركَته ، وقدم به مأسوراً إلى سُرَّ مَنْ رأى ، في أوائل سنة /٢٢٣/ هـ فتعالى بها التكبير ، وقَتَلَ المعتصمُ بابكَ وصلبَه جزاء وِفاقاً لبغيه ونكثه بالعهود . وأخذ الشعراءُ وفي مقدّمتهم أبو تمّام يهنّئون المعتصم والأفشين بهذا النصر المبين ، وله فيه ثلاث قصائد رائعة . الأولى :

غدا المُلْكُ معمورَ الحمى والمنازلِ مُنَوَّرَ وَحفِ الرَّوْضِ عَذْبَ المناهِلِ (١)

(١) الوَحْف : الملتفّ .

وفيها يقولُ :

فيا أيُّها النُّوّامُ عن ريِّقِ الهُدَى وقد جادكم من ديمةٍ بَعْدَ وَابِلِ (١)
هو الحقُّ إنْ تَستيقظُوا فيه تَغْنَمُوا وإنْ تَغْفلوا فالسيف ليس بِغافِلِ

وفيها أيضاً يشيد بالأفشين قائد المعتصم الذي تعاون هو وعبد الله بن طاهر والي خراسان على الإطاحة ببابك ، وتدميره :

لقد لَبِسَ الأَفْشِينُ قَسْطَلَةَ الوغى
مِحَشّاً بنَصْلِ السيفِ غيرَ مُوَاكِلِ(٢)
رأى بابَكٌ منه الّتي لاشَوَى لهَا
فتُرْجَى سوى نَزْعِ الشّوى والمفَاصِلِ (٣)

والقصيدة الثانية :

بذّ الجِلادُ البَذَّ فهو دفينُ ماإنْ به إلاّ الوحوشَ قَطِينُ

وبَذّ : سبق وغلبَ . والبّذّ : الموضع الذي كان فيه بابك الخرّمي . فبين الكلمتين جناس . وقطين : ساكنون .

---

(١) الريّق : ريّق السّحاب : أوّله . الدّيمة : مطر ليس بالشديد ، يدوم يوماً وليلة . الوابل : المطر الشديد .

(٢) القسطلة : الغبار . المحشّ : ما تحرك به النار من حديد . ويروى : مِخَشّاً أي شجاعاً مواكل : يكل أمره إلى غيره . أي دخل في غبار الحرب وهو كمحشّ النار في نفوذه واصطلائه نار الحرب ، وهو يتولّى المحاربة بنفسه ، لا يعتمد على غيره من المقاتلين .

(٣) لا شوى لها : لا أخطاء . الشّوى : جلدة الرأس

فقد عصفت الحرب ببابك ، ودمّرت موقعه في البذّ ، وفتكت بأتباع بابك ، فلم يبقَ منهم أحد ، ولم يبق في منطقة البذّ إلاّ الوحوش البّريّة .

لمْ يُقْرَ هذا السيفُ هذا الصَّبْرَ في هيجاءَ إلاّ عزَّ هذا الدّيْنُ (١)
قد كان عُذْرَةَ مَغْرِبٍ فافتَضَّها بالسَّيفِ فَحلُ المَشْرقِ الأفشينُ(٢)

والقصيدة الثالثة :

آلتْ أمورُ الشّركِ شَرَّ مآلِ
وأقرَّ بَعْدَ تَخَمُّطٍ وصِيالِ (٣)
غَضِبَ الخليفةُ للخلافةِ غَضْبَةً
رخُصتْ لها المُهْجاتُ وهْي غَوالِ
لمَّا انتضى جَهْلَ السيوفِ لبَابَك
أغْمَدْنَ عنه جَهالةَ الجُهَّالِ
يا يومَ أَرْشَقَ كنتَ رَشْقَ منيَّةٍ
للخُرَّميَّةِ صائبَ الآجالِ (٤)
أسرى بنو الإسلام فيه وأدْلَجُوا
بقلوبِ أُسْدٍ في صدور رجالِ (٥)

---

(١) القِرَى : طعام الضيف . ولم يُقْرَ : لم يُطْعَمْ . هيجاء : حرب .

(٢) عُذْرة : بِكْر . كان فتح موضع البذّ بعيد المنال ، مثل عذراء أهلُها في المغرب ، فكيف يصل إليها أهل المَشْرق ؟ لكنّ الأفشين فتحَ ذلك الموضع الحصين .

(٣) آلت : انتهت ، صارتْ إلى . تخمُّط : هياج وثورة . صيال : مصاولة ومقاتلة .

(٤) أرشق : اسم جبل في منطقة موقان . الخُرَّمية : جماعة باطنية كانت توالي بابك . الآجال : جمع أجَل ، وهو موعد الموت ، وحِينه .

(٥) الإسراء والإدلاج : نوعان من السير في الليل .

فتح عمورية

أغار تيوفيل إمبراطور بيزنطة على زِبَطْرةَ بالقرب من سُمَيْساط والحدَث وكل هذه البلدان كان تابعةً للخلافةِ الإسلامية ، ويدين أهلها بالإسلام ، وقد نَكَّلَ الروم بأهل زبطرةَ تنكيلاً فظيعاً ، فصرختْ إحدى المسلمات : وامعتصماه وكان المعتصم قد استشاط غضباً لما وافتْه أنباء الغزو البيزنطيّ ، فجهّز جيشاً ضخماً ، والتقى بتوفيل وهزم جمعَه ومزَّقه شرّ ممزَّق ، وفتح عمّورية . فقال: أبو تمّام عِدَّةَ قصائد في تلك المناسبة ، أشهرها ملحمته الرائعة :

السيفُ أصدق أنباءً من الكتبِ   في حَدّه الحدّ بين الجِدّ واللَّعِبِ

وأبو تمّام يبتهج في هذه القصيدة ابتهاجاً لا حدَّ له بهذا الفتح المبين ،وقد استهلّها بتفضيل القوّة على العقل ، وبتفضيل السيف على الكتب ، والهزء بالمنجمين وما زعموا من أنّ المعتصم لا يفتح عمّورية فإذا هي تسقط أركانها ويتداعى بنيانها أمام مجانيقه وجنوده البواسل ، ويفرّ تيوفيل إمبراطورا بيزنطة على وجهه ، وقد عصف بِقلبه الرعب ، والنيران تأخذ عمّوريةَ من كل جانب يقول :

فتحُ الفتوح تعالى أنْ يحيطَ بهِ
نظمٌ من الشّعْر أو نثرٌ من الخُطَبِ
فتحٌ تفتّحُ أبواب السماء له
وتبرزُ الأرضُ في أثوابها القشُبِ (١)

---

(١) القشب : الجديدة .

ويتحدَّث عن وقعتها وما حقّقت للمسلمين من مُنىً معسولة ومِنْ عزّ ومَجْدٍ ، بينما هوتْ بالروم وديارهم في الحضيض ، ويصوّر استعصاءها على ملوك الفرس والتبابعة وأنها قديمة منذ الإسكندر ، ومع ذلك تحتفظ بشبابها للخليفة الموعود بفتحها ، وكأنما كان نصرُ جنود المعتصم في يوم أنقرةَ جرَباً أصابها فإذا هي تركع صاغرة تحت قدمي المعتصم وقد لطّخ الدمُ ذوائب فرسانها وجباههم ، والتهمتهْا النيران التهاماً ، وعلى الرغم ممّا أصاب جسدَها من جرب ووجهها من تشويه تسكُبُ في نفوس العرب من الفرح والبهجة ما لا تُذْكر بجانبه فرحة ذي الرمّة (غيلان بن عقبة) وبهجته حين كان يلمّ بربع محبوبته ميّة :

لقد تركْتَ أميرَ المؤمنينَ بها
للنار يوماً ذليل الصَّخْرِ والخشَبِ (١)
غادرْت فيها بهيمَ الليلِ وهو ضحىً
يشلُّه وسطَها صبح من اللَّهَبِ (٢)
حتى كأنَّ جلابيب الدُّجَى رغبتْ
عن لونها أو كأنَّ الشمس لم تَغِبِ (٣)

---

(١) أميرَ المؤمنين : منادى بأداة نداء محذوف ، التقدير : يا أمير المؤمنين .

(٢) بهيم : مظلم . يشلّه : يطرده .

(٣) الجلباب : ثوب ضاف .

ضـوءٌ مـن الـنار والظّلْماءُ عاكفةٌ
وظلمةٌ من دخانٍ في ضُحىً شَحِبِ (١)
فـالـشمسُ طـالـعـةٌ من ذا وقد أفلتْ
والـشمسُ واجـبةٌ مـن ذا ولم تجب (٢)
مـا ربـعُ مـيَّـةَ مـعـموراً يُطيفُ بهِ
.غيلانُ أبهى ربىً من ربعها الخرِبِ(٣)
ولا الخـدودُ وقـد أُدمين من خجل
أشهى إلى نـاظري من خدها الترب

وواضح أنّه يَسْتمدّ من قـانون الأضـداد في وصـف حريـق عمّوريـة ليـلاً وهو استمداد أتاحَ له مثل هذا التصوير الرائع ، فهو في الليـل البهيـم ، ويتصـوّر كأنّه في الصبح المضيء ، أو في الضحى المنير ، وكأنّمـا خلعَ الليـلُ لباسَـه ، بـل لكأنّه رغب عنها ، بل كأنّ الشـمس لم تغـبْ ، بـل لقـد غربـتْ ولم تلبـثْ أنْ أشرقتْ في ربوع عمورّية وإنّ نَشوةَ الظفر ليجري رحيقها في نفسـه ، فـإذا هـو يحسُّ إزاءَها بمثل أحاسيس ذي الرمّة إزاء ميّة التي شغفت قلبه حُبّاً .

وقد مضى يصوّر قوّة المعتصم وجنوده ، وكيف فرّ تيوفيل بفلول جيشـه أمامه وقد ضاقتْ عليه الأرضُ بما رحُبتْ ، وما زال يصوّر فتكَ المعتصم بجيوشه وأبطاله ، حتى قال :

---

(١) في البيت مقابلة بين المضادّات : ضوء وظلمة ، والظلماء وضحى .

(٢) واجبة : آفلة أي غائبة .

(٣) غيلان بن عقبة : هو الشاعر المشهور بذي الرّمّة ، وهو من شـعراء الغـزل في العصـر الأموي .

خليفةَ اللهِ جـازى الله سَعْيَكَ عن
جُـرثُـومةِ الدِّينِ والإسلام والحسَبِ (١)

بَصُرْتَ بـالـراحةِ الكبرى فلم تَرَها
تُنـال إلاّ علـى جسْـرٍ من التَّعَبِ

إنْ كان بَيْنَ صروفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ
مـوصولـةٍ أو ذِمـامٍ غيرِ مُنْقَضِبِ (٢)

فبيـنَ أيـامكَ اللاتي نُصِـرْتَ بـها
وبيـنَ أيَّامِ بـدرٍ أقربُ النَّـسَـبِ

أبقتْ بني الأصفرِ الممراضِ كاسْمِهِمُ
صُفْرَ الوجوهِ وجلَّتْ أوجهُ العَرَبِ (٣)

ذكاء أبي تمام وتصنيعه

كان أبو تمام حادّ الذكاء ، نادر الفِكْر ، سريع البديهية قويّ الحَدْسِ ومعروفٌ كيف امتدح في بعض المجالس الثقافية أحمدَ بن المعتصم ، بقصيدة سينية ، فلما انتهى منها إلى قوله :

إقدامُ عمرٍو في سماحةِ حاتمٍ   في حِلْمِ أحْنَفَ في ذكاء إياس (٤)

---

(١) جُرْثومة : أصل .

(٢) صروف الدهر : أحداثه . ذمام : ذمّة . منقضب : منقطع .(٣) بنو الأصفر: الروم .

(٤) عمرو بن معد يكرب الزبيدي فارس مشهور ، من أبطال الفتوحات الإسلاميّة والأحنف بن قيس زعيم تميم في البصرة في العصر الأموي ، وكان مشهوراً بحلْمه . وإياس ابن معاوية قاضٍ من قضاة البصرة فذّ الذكاء .

فقال له الفيلسوف الكندي (يوسف بن اسحاق) ، وكان حاضراً الأميرُ فوقَ ما وصفْت . فأطرقَ قليلاً ، ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تُنكِرُوا ضَرْبِي له مَنْ دونَهُ مثلاً شَرُوداً في النَّدَى والباسِ (١)
فالله قد ضربَ الأقلَّ لنورهِ مثلاً من المِشْكاةِ والنِّبْراسِ

فعجب الحاضرون من سرعة فطنته .

وهذا الذكاء الحاد استخدمه أبو تمام استخداماً واسعاً في تمثُّل الشعر الذي سبقه من قديمٍ وحديث ، وانتحى ناحية مسلم بن الوليد في تصنيعه مكثراً من التصْنيع في ألفاظه ومعانيه .

التصوير

اهتمّ أبو تمام بالتصوير اهتماماً كبيراً ، فإذا بكَ تجدُ بعضَ لوحاته الفنيّة تضعك أمام مشاهد حيّة لم تبدعْها ريشة ولا ألوان ، إنما قلمٌ وكلمات . يقول في وصف قمريّ وأنثاه على فنَنِ شجرة :

غنىَ فشاقَكَ طائرٌ غِرّيدُ لمّا ترنَّم والغصونُ تميدُ (٢)
ساقٌ على ساقٍ دعا قمريّةٍ فدعتْ تقاسمُه الهوى وتصيدُ (٣)
إلفان في ظلّ الغصونِ تألّفا والتفَّ بينهما هوًى معقودُ
يا طائرانِ تمتّعا هُنَيْتُما وعِما الصَّباح فإنني مَجْهودُ (٤)

---

(١) شرود : طريف . الندى : الكرم . الباس : الشجاعة .

(٢) شاقك : هاجك وأطربك . غريد : كثير التغريد . تميد : تتحرك .

(٣) الساق الأولى : القُمْريّ أو ذكر الحمام . والساق الثانية : ساق الشجرة . تصيد : تصيده وتوقعه في شباكها .

(٤) عما الصباح : تحيّة قديمة ، وعما مختصرة من أنعما أي حظيا بالنعمة .

ومن أجمل أشعاره رائيتّه في وصف الربيع :

رقّتْ حواشي الدهرِ فَهْي تَمَرْمَرُ ... وغدا الثَّرى في حلْيه يتكسَّرُ (١)

وهو يمثّل في هذا المطلع الدهر مكسوّاً بتلك الحواشي الزاهية المشرقة التي يتمايل فيها الثرى وكأنه عروس تتثنى في حليها وتتكسّر في زينتها . ويقول :

من كلّ زاهرةٍ ترقرقُ بالنَّدَى ... فكأنَّها عيـنٌ إليك تُحَـدَّرُ (٢)

تبدو ويحجُبها الجَميمُ كأنّها ... عـذراءُ تبدو تـارةً وتَخَفَّرُ (٣)

حتى غدَتْ وهَداتُها ونجادُها ... فِئَتَيْنِ في حُلَلِ الربيعِ تَبَخْتَرُ (٤)

خصائص فنية أخرى

كان أبو تمام يعتمد في شعره على الغموض ، وأنْ تغشـاه سُـحُبٌ زاهيـة من الفلسفة والثقافة ، فكثر في شعره الرمز ، فهو يعبر عن قتل محمد بـن حُمَيْـد الطوسي ، بتلك الثياب الحمراء الـتي غرقـت في أصبـاغ الـدم ، حتـى إذا دجـى الليل وأظلم القبر أبدله منها ثياباً سندسية خضراء ليعبر عن رضوان ربّه :

تردَّى ثيابَ الموتِ حُمْراً فما دجَى ... لها الليلُ إلّا وهْي من سندسٍ خُضْرُ

ويكثر أبو تمام أيضاً من نوافر الأضداد ، فهو يصـف الربيـع فـإذا بـأنوار الشمس تختلط بأزهار الرُّبا كأنّها أضواء القمر :

---

(١) تمرمر : تتمايل ليناً ونعمة . يتكسّر : يتثنّى .

(٢) زاهرة : زهرة . ترقرق بالندى : يضطرب النّدى ، وهو حبيبـات المـاء الـتي تتشـكلّ على سطوح النباتات صباحاً . تحدَّر : ينحدر منها الدمع وهي تنظر إليك .

(٣) الجميم : نبات كثيف . تخفَّرُ : أصلها تتخَفَّرُ : أي تستحي فتختفي .

(٤) الواهدات : السهول المنبطحة . النجاد : التلال . تبخترُ : تتبختر .

يا صاحبيَّ تقصَّيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تَصَوَّرُ
ترياً نهاراً مشمساً قد شابَهُ زهْـرُ الـربُا ، فكأنَّما هو مُقْمِرُ

فقد امتزجتْ أصباغ الطباق عند أبي تمام بهذه الأصباغ الفلسفية الغربية من نوافر الأضداد ، فإذا بها تُخْرِجُنا من أوقاتنا التي تقيّدنا ، ومن أمكنتنا أيضاً.

وعند أبي تمام ظاهرة أخرى هي القياس الفني ، يقول في تحبيب الرحلة ومفارقة الأوطان :

وطولُ مُقام المرء في الحيِّ مُخْلِقٌ لـديباجـه فـاغتـربْ تـتـجـدَّدِ
فـإنِّـي رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبَّةً إلى الناس أنْ ليستْ عليهم بِسَرْمَدِ

وتنبث خلال أشعار أبي تمام حكم كثيرة تدلّ على عقل نافذ وبصيرة خبيرة ، يقول :

بصرتَ بالراحة الكبرى فلمْ ترَها تُنالُ إلاّ على جسرٍ من التَّعَبِ

ويقول أيضاً :

كم منزلٍ في الأرضِ يألفُه الفتى وحنينُه أبداً لأول منْزِلِ

ولم يُعَمَّرْ أبو تمام كثيراً ، إذ مات في سنة /٢٣٠/ أو /٢٣١/ هـ ، ودفن في الموصل ، لأنّه كان يشتغل في سنواته الأخيرة مديراً لسِلْك البريد فيها . وقد حجَّ أبو تمام ، وشارك في شعره بذكر أهم الأحداثِ الجِسام التي جرتْ للمسلمين في عصره .